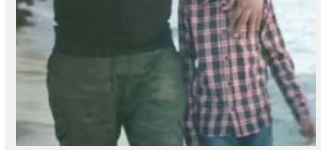


الراب التونسي يُنزل الأغنية الوترية من عليائها

700 مليون مشاهدة، رقم من الصعب تحطيمه في عالم الغناء العربي سواء منه الوترية أو الراب. رقم قابل للارتفاع في كل لحظة مع استمرار منصة يوتيوب في عرض كليب بلطي وحمودة المبعوثون "يا ليلى.. يا ليلى" على مدار الساعة. رقم يطرح أكثر من سؤال لعل أبرزه: كيف تمكن الراب التونسي من سحب البساط من تحت نظيره الوترية، ولماذا؟

غير الشرعية. والأمر ذاته ينسحب على الأغاني المنتقدة للوضع الاقتصادي والسياسي المترددين في بلد نصف سكانه من الشباب والباحثين. فمن لهم غير الراب الثوري ملاذاً ومعبراً عنهم؟ وفي المقابل، ظلت الأغنية الطربية الوترية في تونس محافظة على كلاسيتها البدائية، فلا جديد سوى إعادة لبعض الأغاني التراثية وتهذيبها، بدوى تجديدها كي تكون مواكبة للعصر، فتأتي غالبيتها فاقدة للروح والمعنى، حيث تجاوزها الزمن كلمة ولحنًا وأداءً أحياناً. وستبان بين الأصل والتقليد.

هذا دون أن ننسى أن الأغنية الوترية الطربية مكلفة من ناحية الكلمات والألحان والتسجيل الذي يتطلب فيلقاً من الموسيقيين المحترفين، على خلاف أغاني الراب التي تعود كلماتها في المطلق لصاحبها والألحان من وحي لوحة مفاتيح الكمبيوتر الخاص به، أما التسجيل فتحكمه العلاقات الإنسانية والشلية في شكلها الإيجابي هذه المرة.



أغنية "يا ليلى.. يا ليلى" للثنائي التونسي بلطي وحمودة حظمت كل الأرقام القياسية من حيث نسب المشاهدة

ومن هنا تقلص حضور شركات إنتاج الأغاني الطربية في تونس، بل لنقل إنه انعدم أصلاً، لظلال المشهد تقتصر على شركة واحدة بتيمة، أربكها بدورها انخراط أشهر الملحنين من الساحة الغنائية بعد أن صنعوا مجد الأغنية التونسية سنوات الثمانينات وبداية تسعينات القرن الماضي، على غرار عبدالرحمن العيادي ومحمد صالح الحركاتي والناصر صمود، وخاصة عبدالكريم صحابو الذي اكتشف جيلاً كاملاً من الفنانين ومنحهم أعذب الألحان، مثل الشاذلي الحاجي وعبدلوهاب الحناشي ونجاة عطية ومنية الجواوي ونوال غشام.

ومن خلالهم أيضاً انسحب كتاب الأغنية المخضرمين، كما غيب الموت غالبيتهم، لبقى السوق حكرًا على شاعرين فقط هما الجليدي العويني وحاتم القبراني.

كما ساهم غياب البروباغندا الإعلامية وبرامج المنوعات الغنائية المختصة التي كان رائدها في سنوات التسعينات من القرن الماضي، مقدم البرامج الراجل نجيب الخطاب، في خفوت حضور الأغنية الطربية في المشهد السمعي البصري التونسي، لتترك المجال فسيحاً مع بداية الألفية للأغنية الشعبية، فالراب إثر ثورة الـ14 من يناير.

موجة غنائية جديدة رافقتها، أيضاً، دعاية إعلامية صاخبة غامر في إرسالها مقدم البرامج الهادي زعيم، فكسب الرهان، الأمر الذي مكّنه من تغيير المشهد الغنائي التونسي وقلبه رأساً على عقب.

لنبتقى الأغنية الوترية التونسية نجحت نجاحاتها الغابرة عبر بعض الفواصل الموسيقية التي يبثها التلفزيون العمومي بين شوطي مباراة كرة قدم ودية أو في مناسبة وطنية، ليس أكثر!

صابر بن عامر
صحافي تونسي

تونس - بلطي، أرمستا، كلاي بي. بي. جي، كافون، جي. جي. أ، سانفارا، جنجون، علاء، سماري، كادو ريم، ولد الكانز، والقائمة تطول.. كلها أسماء لمغني راب تونسيين استفادوا بشكل مباشر من مناخ الحرية الذي منحه ثورة الـ14 من يناير 2011 للمواطن التونسي ومن ثمة لإعلامه وفنانيه، فاقنص شباب الراب الفرصة وهم الأقدر على اقتناصها مقارنة بنظرائهم المخضرمين والمكرّسين للغناء الوترية، حيث استنصبوا التطورات التكنولوجية الحاصلة في التسجيل الحديثة، وتعاملوا معها بالشكل الأمثل، مستفيدين منها ومؤثرين من خلالها على حد السواء.

وتقول أرقام نسب المشاهدات على يوتيوب إن أغاني الراب التونسية، بغتها وسميتها، تفوقت بأشواط على نظيرتها الوترية التي ارتدت إلى مراتب دونية إثر ثورة الـ14 من يناير، بل كادت تنسحب من المشهد السمعي البصري أصلاً لولا بعض الإجتهدات الخاصة لشباب الأغنية الوترية والشعبية على السواء الذين ركبوا بدورهم "موجة الراب" من خلال أدائهم في شكل دويتو لأغانٍ جمعت بين الصنفين.

ونذكر هنا على سبيل الذكر لا الحصر، دويتو أرماستا والشاب بشير "يا حمامة طارت" في الجمع بين الراب والشعبي، أو كليب كلاي بي. بي. جي وريان يوسف "ديما لباس" وأيضاً كلاي بي. بي. جي ورؤوف ماهر في "الراس مرفوع"، وكلاهما يمزجان بين الراب والطربي، وغيرهم الكثير.

هذه الفنانيات فرضتها حاجة شباب الأغنية الطربية والشعبية للاستلها من نجاج مغني الراب الذين كونوا قاعدة جماهيرية على منصات التواصل الاجتماعي، مكنتهم من الاستفادة من الإيرادات المالية التي تمنحها منصة يوتيوب خاصة للأغاني الناجحة والجماهيرية، بالإضافة إلى استفادتهم من شعبية فناني الراب المؤثرين في الأوساط الشبابية.

وهي حقيقة لا مفرّ منها، وإن أنكرها بعضهم، ومثالنا على ذلك أن أفضل أغنية وترية من حيث المشاهدات، تعود إلى الفنانة الشابا شيرين اللجمي المعنونة بـ"علاش نلوم" التي حققت 45 مليون مشاهدة، وهو رقم بسيط رغم أهميته، مقارنة بما حققته أي مغني راب مستجد.

هذه الحقيقة أكدها رائد فن الراب في تونس، بلطي، الذي قال "لدي فضل كبير على الكثير من فناني الغناء الطربي والشعبي في تونس"، وهو الذي اختص في أداء العديد من الأغاني الدويتو مع فيلق من الفنانين المغومرين.

ويكفي هنا استحضار الأغنية الدويتو "يا ليلى.. يا ليلى" بين بلطي والطفل حمودة التي فاقت نسبة مشاهدتها على يوتيوب منذ إصدارها في شكل فيديو كليب في العام 2017 وحتى اليوم 700 مليون متابعة حول العالم، لنفهم أي خدمة قدمها نجم الراب التونسي لموهبة فنية صاعدة، تحولت مع التراكم والإنتاج المتعاقب إلى علم من أعلام الأغنية التونسية، وهو الذي لم يتجاوز ربيعته السادس عشر بعد.

فلماذا نجح الراب التونسي فيما فشلت الأغنية الوترية الطربية؟ الإجابة عن هذا السؤال تبدو بسيطة في ظاهرها لكنها عميقة في خلفياتها، فأنغية الراب استطاعت استقطاب قاعدة جماهيرية شبابية واسعة، خصوصاً من أبناء الأحياء الشعبية والأوساط الاجتماعية المهمشة والفقيرة، وهي التي تخاطبهم وفق أليات سلسلة بعيدة عن التعقيد أساسها بساطة اللحن وقوة الكلمة.

كلمات قريبة من المتلقي وتعكس همومه ومشاغله وتحاكي واقعه من دون مبالغ، كما في انتقادها للأوضاع الاجتماعية، كالبطالة والتهميش والهجرة

أوبرا نوبية تحفظ لهجة مصرية قديمة من الاندثار

المخرج المصري عبدالله سعد: الجمهور العربي في طريقه لتذوق فن الأوبرا



«طرح البحر».. أوبرا عمانية عن تأثير الطبيعة على البشر

المتوسطة امتدت بالفنون، وآلة البيانو قطعة أثاث أساسية في المنازل، والأغاني تصدح في كل مكان، والمقاهي حافلة بتريد أعمال سيد درويش، والشوارع مستوى تقني متطور، والسنوات المقبلة سوف تشهد بالتأكيد تكوين فرق أوبرا محلية لها، بديلة عن الأجنبية التي تعمل حالياً.

مجهودات مهمشة

عاني جيل الرواد في الأوبرا عربياً من تسليح مجهوداتهم أو تقديمها في صورة كوميدية، مثل اللبناني محمد البكار، قبل أن يساس من توصيل فنه ويهاجر إلى الولايات المتحدة حتى وفاته، والمصري حسن كامى الذي شارك في قرابة 660 عرضاً للأوبرا حول العالم، قبل أن يتحول إلى فنان سينمائي ودرامي.

ولفت سعد إلى أن الجيل الثاني من فناني الأوبرا بمصر حالياً، يرتقي إلى درجة العالمية ويقدم أوبرا محلية خالصة، وهو ما كان يفتقده الجيل الأول. وتوقع أن يتزايد الاهتمام بالأوبرا مع بناء دار جديدة لها في العاصمة الإدارية الجديدة بشرق القاهرة، وزيادة عدد الفرق في مصر إلى خمس للموسيقى العربية، وانفتاحاً للأوركسترا وكرال وباليه ورقص حديث، وجميعها متميزة ترتقي إلى العالمية.

وشدد على ضرورة الاهتمام الرسمي بفن الأوبرا لرفع الذائقة الفنية للجمهور ودعم الفنون بتضمينها في مناهج التعليم وعودة الموسيقى إلى الأنشطة المدرسية التي لا تقل أهمية عن المادة العلمية، مع تدريس اللغات القديمة التي يمكن عبرها إنتاج أشكال فنية تتماشى مع التراث العربي العريق وحفظه في قوالب فنية شيقة.

ربما ترتبط مطالبة سعد بالاهتمام الرسمي بتجربة سابقة تعطلت بسبب الظروف السياسية، فبعدها وضع أوبرا خاصة للأطفال بتشجيع من زوجة الرئيس الأسبق حسني مبارك (سوزان مبارك) بعنوان "يونوكيو"، الشخصية الخيالية المستمدة من رواية كتبها الروائي الإيطالي كارلو كولودي، عن طفل يكبر إنفه كلما تحدث بالكذب.

وحاول إعادة المشروع إلى لنور مع "راديو الفاتيكان" عبر الاستعانة بعدد من سفراء النوايا الحسنة والفنانين المشاهير، مثل عادل إمام وصفي العمري ودريد لحام، الذين قبلوا المشاركة دون أجر، ولم يباس من إمكانية ظهوره مع تزايد الاهتمام بدور الفن في تشكيل وجدان الأجيال الجديدة ومواجهة العنف.

ذكر سعد أن المجتمع المصري كان متقفاً ومشحوناً بالإبداع قبل عام 1952، فالعائلات

المواطن العماني باللهجة المصرية، ولاست حسه الفني وعُبرت عن تراثه بقصص عن مجتمع الصيادين القدامى، وكان يتوقع تكرار عرضها أكثر من مرة، لكن جاءت جائحة كورونا لتحول دون تحقيق تلك الغاية.

وتتناول "طرح البحر" تأثيرات الطبيعة على البشر بحكايات عن مغامرات صياد أسماك شاب، في حوار كتبه شاعر العامية أحمد حداد، تتضمن عناصر متعددة ما بين سرد القصة والأغاني والأشعار ورقصات الباليه، مع تنوعات مميزة لمميز الوسمي، النقيب الأسبق للموسيقين المصريين، في الأغنيات الفردية والمقطوعات الكورالية. وأكد سعد، أن العرض مختلف عن غيره من الفنون، فهو عمل درامي غنائي يشمل التأليف والموسيقى والتمثيل ورقص الباليه والديكور والإضاءة والإضاءة، والقصة والشعر، واحتاج إلى مؤدين بصفات بدنية وفنية خاصة، يتمتعون بسلامة الجهاز التنفسي والقوة العضلية، وقوة الصوت الذي يجب أن يعلو الآلات الموسيقية المصاحبة مهما كانت مرتفعة.

وأضاف المخرج المصري، أن الصوت الأوبرالي جزء من نسج هرموني متكامل ويحتاج إلى جمهور متذوق يجب اللغة والموسيقى معاً، والاقتصاد على الصوت العالي فقط يعود إلى اختلاف الثقافة الغربية عن المحلية، وعدم مراعاة بعض مقدميه الفوارق بين اللغات في التقديم؛ فالعربية لا تتحمل المساحات العريضة لرفع الصوت، حتى لا تتحول إلى صراخ غير مفهوم.

ونشأت الأوبرا في بدايتها كفن ارستقراطي مرتبط بفضور الأثرياء بإيطاليا، في نهاية القرن 19، قبل أن يحاول روادها ربطها بالقصص الحياتية لجذب الطبقة المتوسطة إليها، ودخل هذا الفن إلى المنطقة العربية عام 1869 مع إنشاء دار الأوبرا بمصر احتفاءً بافتتاح قناة السويس، لكنها قُدمت عرضاً بلغة ومغنين أجانب.

وقدم المخرج المسرحي الأوبرالي، في البداية بعض الأعمال العالمية المعروفة مثل "هاملت" و"الملك لير"، لأنها تجمع بين المسرحية والأوبريت، رغم أن قصتها معروفة للجمهور، باعتبار أن تقديمها في شكل أوبرا يجعلها مختلفة عن النص الأصلي، من زاوية تكييف الأحداث، وتحويلها من السرد إلى غناء صرف.

يعكف المخرج المسرحي المصري عبدالله سعد على إعداد أول "أوبرا نوبية" لحفظ لغة وتراث أهل النوبة في جنوب مصر من الانقراض، بعد تقديمه "طرح البحر" أول عرض غنائي أوبرالي يتلصق وتوزيع عربي خالص عن التراث العماني، وباللهجة المصرية.



صبي حجاب
كاتبة مصرية

القاهرة - تبنى أستاذ الإخراج المسرحي باكاديمية الفنون في القاهرة، عبدالله سعد، اتجاهها ينقل الغناء الأوبرالي من كونه فناً غربياً المحتوى إلى أداء صوتي راق يجسد التراثين العربي والإفريقي، على جانبي المحتوى الموسيقي.

ويضع سعد حالياً لمسائه الأخيرة على أول "أوبرا نوبية" بالتعاون مع الأديب حجاج أدول، ليصبح العمل الأول من نوعه، الذي يتم غناؤه باللغتين العربية والنوبية معاً. وقال عبدالله سعد في حوار مع "العرب"، إن النوبية لغة مظلومة فنياً وثقافياً، رغم أهميتها التي لا تقل تاريخياً عن الهيروغليفية، لغة قدماء المصريين، وتواجه شيخ الاندثار بتواترها الشفهي، واتجاه أبنائها إلى هجرها، والتحدث باللهجة العامية.

ويعتبر سعد، من أبرز المتخصصين العرب في إخراج الأوبرا، وقد أسهم في كسر الاحتكار الغربي لتلك المهنة، التي يشغلها الأجانب في غالبية المسارح العربية، ويملك سجلاً حافلاً في مجاله بعد إخراج 25 عرضاً في أوروبا، غالبيتها في إيطاليا التي درس فيها وحصل منها على درجة الدكتوراه.

طرح البحر

يتطلب ابتكار أوبرا نوبية جهوداً مضنية فإبناء النوبة لا يملكون مسرحاً يمكن الاتكاء على تجاربه، ولغتهم مكونة من 24 حرفاً، منها أربعة صوتية خاصة، و17 حرفاً ساكناً وخمسة متحركة، وحرفان نصف متحركين، وهي تعقيداً كبيرة لنقلها إلى الغناء الأوبرالي ذي الإمدادات الصوتية العريضة.

النوبية لغة مظلومة فنياً

وثقافياً، وتواجه شبح الاندثار بتواترها الشفهي واتجاه أبنائها إلى هجرها والتحدث باللهجة العامية

وفاجاً سعد، الذي شارك كممثل في نحو 25 عملاً فنياً، بين المسرح والسينما والدراما وأسّس قسم الإخراج بدار الأوبرا المصرية، الجمهور أخيراً بأول أوبرا يتم تلحينها وتوزيعها كلياً بإبداع عربي خالص تحت عنوان "طرح البحر"، وقدمها على مسرح الأوبرا السلطانية في العاصمة العمانية مسقط.

وأوضح أن "طرح البحر" من أهم العروض التي قدمها، لأنها خاطبت



الفن النوبي.. عالم جمالي لا مثيل له